

المهندسة المعمارية التي لا تفقد الأمل

الملكة نور

بطلة قديمة لقصة أردنية جديدة



● الملكة نور هي أول من بايع الملك عبدالله ملكاً لحظتها رحيل والده، حين التفتت إليه قائلة «مات الملك عاش الملك».



● خيارا الملكة نور والأمير حمزة كانا أسيرين، وحسب تقرير لصحيفة لوس أنجلوس تايمز، فقد قامت بتاهيل ابنها لأن يكون ملكاً. كيف؟ لا أحد يعرف. لكن ذلك لم يكن من صنع أي منهما، فقد يكون الملك الحسين خطط له منذ زمن بعيد ليثور وهو في قبره.



إبراهيم الجبيري
كاتب سوري

التفتت الملكة نور على الفور إلى ولي العهد عبدالله وقالت بصوت خافت: مات الملك عاش الملك، ملتزمة بالتقاليد المتبعة في أعرق الأسر الملكية حول العالم، وبذلك تكون قرينة ملك الأردن أول المبايعين لخليفة زوجها ليعتلي عرش الأردن.

هكذا كانت لحظة وفاة الملك الراحل الحسين بن طلال بعد أن قررت الأسرة الهاشمية إيقاف أجهزة الإنعاش التي بدأ عملها بغير طائل بعد أن اشتد عليه المرض.

وطيلة عشرين سنة سبقت تلك اللحظة، كانت الملكة نور في مركز الحدث، وسيدة المشهد السياسي والاجتماعي الأردني إلى جوار الملك الذي كان شعبه يرى فيها الوالد العطف والحكيم المحتك.

وبعد رحيله تراجعت الملكة نور خطوات إلى الوراء، مخفية المكان للملكة الجديدة رانيا العبدالله ولجمهرة القادة الجدد.

غير أن التطورات التي شهدها الأردن خلال الأسابيع الأخيرة أعادت الملكة نور إلى خشبة المسرح من جديد، لاسيما وأن بطلها الأبرز هو ابنها الأمير حمزة بن الحسين.

وقعت الملكة نور بين خيارين أسيرين، ميلها إلى التقاليد التي جعلت منها ملكة، وميل ولدها الأمير الشاب إلى التمرد على القيود. لكن ذلك لم يكن من صنع أي منهما، وقد يكون الملك الحسين خطط له من زمن بعيد ليثور وهو في قبره.

قفزة إلى الإيمان

أخذت الصحف العالمية، ترجع إلى نجمة الأردن المفضلة القديمة، كل شيء جاهز، الصور والتقارير والمعلومات المثيرة، وحتى الشهود من صديقاتها القدامى وزميلات دراستها.



التحولات الإقليمية وتبدل الأدوار، كل تلك عوامل قد يدرکها الملك عبدالله، كوريت لعرش برهنت الأحداث الأخيرة على أن الإقليم والعالم ينظران إليه بعين الاعتبار، لكن ليس بالضرورة أن تكون تلك العوامل مفهومة للأجهزة الأردنية، ولمن لديه طموح بلعب دور ما

كان اسمها ليزا الحلبي، ووصفت بانها أرسقراطية أميركية سورية الأصل، حظيت بحياة مرفهة وتعليم رفيع، بعد أن عين الرئيس الراحل جون كنيدي والدها، نجيب الحلبي، رئيساً لهيئة الطيران الفيدرالية الأميركية آنذاك، ثم صار رئيساً لشركة «بان



● التغييرات على مستوى ولاية العهد لا تجري دوماً بالصواب والريغيات، فحتى الأمير الحسن، وبعد سنوات من رحيل أخيه، لم يكن قادراً على كتمان سبب عزله.

الأسبق، الذي لم يجد بدوره سوى الحكمة علاجاً للموقف. فخرجت تلك الوثيقة الصادرة عن مكتب الأمير حمزة بتوقيعه ومشاهدة الأمير الحسن وفي بيته، والتي يعلن فيها الأمير حمزة مبايعة جديدة للملك عبدالله الثاني ولولي عهده الحسين بن عبدالله.

أين كانت الملكة نور في تلك الأثناء؟ اختارت هي الأخرى التقاليد والتعبير الدقيق والمختزل، للتعليق على الأمر برمته قبل علاجه، وقبل خروج الملك معلناً وأد الفتنة، كتبت الملكة نور في حسابها على تويتر "أتمنى أن تسود الحقيقة والعدالة لكل الضحايا الأبرياء لهذا البهتان الأثم".

كانت تلك الكلمات بمثابة شيفرة تقول إنها لا تريد التصعيد، وإنها مستعدة للقبول فقط بسلامة ابنها وإبعاده عن دائرة الاتهام.

كانت راية بيضاء سريعة، لكن ليس بالضرورة ألا تكون مناورة لامتناص الصدمة وغضب الملك وحاشيته.

ولكن هل يعني هذا أن موقف الأم الحزينة والقلقة على ولدها سيبقى هو المتحكم بخياراته السياسية؟ لا يبدو أنه من المنطقي أن تبقى الملكة نور هي المهمة الروحية للأمير حمزة بعد أن صقلت الحياة تجربته وبلورت شخصيته، سواء الحياة العسكرية أو المجالس العربية التي حرصت على المواظبة عليها، والتقاليد أيضاً دون شك، التي تبدو اللاعب الأبرز في الحكاية الهاشمية.

اللعبة في الأردن لا تدار بيد الملك وحده، فالدولة هيكل بات عمره اليوم 100 سنة، وسط عالم عربي يتشبت بالتخلف وأسبابه ومولداته، ما يعني وجود الفساد والترهل وكل مظاهر دول العالم الثالث. وبالكاك يصبح ضبط إيقاع البلد ممكناً، خاصة بعد أن مرت عاصفة الربيع العربي، وخرج منها الأردن بلا خسائر، وخرج منها الأردن بلا خسائر

وسط عالم عربي يتشبت بالتخلف وأسبابه ومولداته، ما يعني وجود الفساد والترهل.

وبالكاك أصبح ضبط إيقاع البلد ممكناً، خاصة بعد أن مرت عاصفة الربيع العربي، وخرج منها الأردن بلا خسائر

وخرج منها الأردن بلا خسائر

وخرج منها الأردن بلا خسائر

وخرج منها الأردن بلا خسائر

وخرج منها الأردن بلا خسائر

وخرج منها الأردن بلا خسائر

وخرج منها الأردن بلا خسائر

وخرج منها الأردن بلا خسائر

وخرج منها الأردن بلا خسائر

وخرج منها الأردن بلا خسائر

وخرج منها الأردن بلا خسائر

وخرج منها الأردن بلا خسائر

وخرج منها الأردن بلا خسائر

وخرج منها الأردن بلا خسائر

وخرج منها الأردن بلا خسائر

وخرج منها الأردن بلا خسائر

وخرج منها الأردن بلا خسائر

وخرج منها الأردن بلا خسائر

وخرج منها الأردن بلا خسائر

وخرج منها الأردن بلا خسائر

وخرج منها الأردن بلا خسائر

وخرج منها الأردن بلا خسائر

وخرج منها الأردن بلا خسائر

وخرج منها الأردن بلا خسائر

وخرج منها الأردن بلا خسائر

وخرج منها الأردن بلا خسائر

وخرج منها الأردن بلا خسائر

وخرج منها الأردن بلا خسائر

وخرج منها الأردن بلا خسائر

وخرج منها الأردن بلا خسائر

الداخلي وهو ما اصطدم به ابن الملكة نور الأمير حمزة مؤخراً. لا شك أن اللعبة في الأردن لا تدار بيد الملك وحده، فالدولة هيكل بات عمره اليوم 100 سنة، وسط عالم عربي يتشبت بالتخلف وأسبابه ومولداته، ما يعني وجود الفساد والترهل وكل مظاهر دول العالم الثالث. وبالكاك يصبح ضبط إيقاع البلد ممكناً، خاصة بعد أن مرت عاصفة الربيع العربي، وخرج منها الأردن بلا خسائر، وخرج منها الأردن بلا خسائر

وقع الملك في سحر الهندسة الشفراء ذات الشخصية الكاريزمية والجنود الراقية والذكاء الحاد، ومنحها لقب الملكة نور. ولم يكن وحده من فتن بها وبحضورها فحشئ الشعب الأردني وتقديم صورة الأردن بشكل مختلف وفي التوجس أولاً، لكنه سرعان ما اعتبرها رمزاً وطنياً أردنياً يعكس التسامح والانفتاح والتقدم والثقافة والجمال.

وهي قابلت ذلك بالعمل الجاد على مرحلة صعبة وفي سن صغيرة للغاية أيضاً، فقد كانت في السابعة والعشرين من عمرها آنذاك. وكان عليها أن تجاري ملكاً يكبرها بأعوام طويلة وبخبرات واسعة في الحكم ومشاكله.

مرض الحسين مرض الموت ويرى البعض أنه بقي يميل منذ أن رزق هو والملكة نور بابنتهما الأمير حمزة إلى تعيين الأخير ولياً للعهد، لكن التوازنات الداخلية لم تمكنه من ذلك، ففي إحدى المرات طلب هذا بشكل مباشر من شقيقه الأمير الحسن الذي كان ولياً للعهد آنذاك، في اجتماع للأسرة الهاشمية، فكان رد الأمير الحسن غير حاسم، ولم يعد بشيء.

وحيث اشتد المرض على الحسين قرّر العودة إلى الأردن قاطعاً رحلته العلاجية لتنفيذ الأمر بنفسه، فقام بعزل الأمير الحسن وتعيين ابنه عبدالله ولياً للعهد على أن يكون ولياً للعهد الأمير حمزة. وهكذا رسم مساراً لمستقبل انتقال الملك في الأردن في ما اعتبر بمثابة وصية اطمأنت لها الملكة نور، وتعامل معها الأمير الحسن بالكثير من الانضباط مقدماً مصلحة المملكة واستقرار الحكم على جميع الاعتبارات. لكن الأمر لم يكن هكذا دوماً فحتى الأمير الحسن وبعد سنوات من رحيل أخيه الملك الحسين لم يكن قادراً على كتمان سبب عزله، فقد من ذلك في إحدى المقابلات ذات الطابع الشخصي أجرتها معه الإعلامية نيكول تنوري، تحدث فيها الأمير الحسن عن صفاته عسكري ورجل دولة عنيد ومتشدد، وحينها أنهى كلامه بالقول مبتسماً "ولهذا عزلوني".

إن لم تكن رغبة الحسين وحدها هي سبب إبعاد أي من الشخصيات الكبيرة في الأسرة الهاشمية في الأردن أو تقربها بل هناك اعتبارات أخرى، لا نناقش الخارجي منها، بل ما يهمنا هو

تبرز في وضع كهذا أزمات الأردن الاقتصادية وجائحة كورونا وعدم قدرة البلاد على السير على الجبال بين السياسي الاستراتيجي والاقتصادي المتطلب، فالتشبت بثوابت بعينها يعني الخروج بعيداً عن طاولة التوافقات الجديدة، والتخلي عن تلك الثوابت سعني التفريط بالشرعية الهاشمية.

ولم يكن ينقص الصورة إلا ما سميت بمحاولة زعزعة استقرار الأردن، والعملية الأمنية التي تم إلقاء القبض فيها على شخصيات بارزة، ووضع الأمير حمزة خلالها قيد الإقامة الجبرية في مشهدة تابعها العالم بقلق.

تعامل الملك بحكمة مع معطيات هذا الموقف ولم يكن لديه سوى التقاليد التي يلجأ إليها الملوك عادة كجدار حماية، وضع أخاه الأمير حمزة، ولي العهد السابق، في عهدة عمه الأمير الحسن، ولي العهد

أزمات الداخل

تبرز في وضع كهذا أزمات الأردن الاقتصادية وجائحة كورونا وعدم قدرة البلاد على السير على الجبال بين السياسي الاستراتيجي والاقتصادي المتطلب، فالتشبت بثوابت بعينها يعني الخروج بعيداً عن طاولة التوافقات الجديدة، والتخلي عن تلك الثوابت سعني التفريط بالشرعية الهاشمية.

ولم يكن ينقص الصورة إلا ما سميت بمحاولة زعزعة استقرار الأردن، والعملية الأمنية التي تم إلقاء القبض فيها على شخصيات بارزة، ووضع الأمير حمزة خلالها قيد الإقامة الجبرية في مشهدة تابعها العالم بقلق.

تعامل الملك بحكمة مع معطيات هذا الموقف ولم يكن لديه سوى التقاليد التي يلجأ إليها الملوك عادة كجدار حماية، وضع أخاه الأمير حمزة، ولي العهد السابق، في عهدة عمه الأمير الحسن، ولي العهد